جرمانوس فرحات

العامل في خدمة النفوس

بقلم الاب توتل اليسوعي

توطئة

في السنة السابعة من «المشرق» نشر المرحوم الاب جرجس منش مقالاً ممتعاً عنوانه «المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات»[1] تكلم فيه عن أسرة المترجم، ومولده في الشهباء في ٢٠ تشرين الثاني ١٦٧٠، ومجيئه الى لبنان، ودخوله الرهبانية سنة ١٦٩٤ ودروسه، ورئاسته، واسفاره، وسيامته رئيس اساقفة حلب في ٢٩ تموز ١٧٢٥.

وافرد الكاتب فصلاً خاصاً للمؤلف ختمه بلائحة آثاره فاذا فيها ٣٧ كتاباً من المبتكرات، و٣٩ من المصححات، و١٢ من المعربات، و١٦ من المختصرات. ولعلّ هناك غيرها.

وانا، بمناسبة اعياد يوبيل المئة الثانية لوفاة المطران جرمانوس فرحات التي أقيمت في حلب في ٢٠ ايار ١٩٣٤ وتبارى فيها الخطباء والشعراء، رأينا ان ننظر في ناحية من نواحي مؤلفاته الممثلة فيها فضائل العامل الرسولي وتعاليمه.

***

للعامل الرسولي في كرم الرب مزيّتان جوهريتان او مهمتان عظيمتان لا بدّ منهما ليحسن القيام بواجبه الالهي، وهو الوسيط بين الله والشعب. عليه اولاً بالصلوة ليكلم الله عن الشعب، وعليه ثانياً بالوعظ ليكلم الشعب عن الله. والدليل على ذلك قول الرسول: «اننا نواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (اعمال ٦:٤) فالعامل الرسولي، خادم الكلمة، اشبه بالملاك الذي رآه يعقوب

---

١) المشرق ٧ [١٩٠٤] ٤٦، ١٠٥، ٢١٠، ٢٥٤

بالحلم صاعداً منحدراً على السلم السرية التي تربط الارض بالسماء ، وذلك بصلواته التي يستنزل بها النعم من السماء على الارض ، وبمواعظه التي يرفع بها القلوب من الارض الى السماء ويهدي المؤمنين طريق الخلاص.

ذكر صاحب « المستطرفات » ولعَ المطران جرمانوس بالصلاة ، وقد جُبل قلبه بالتقى منذ صباه ، ثم سافر من حلب الى لبنان ، فكان يقضي الساعات الطوال بمناجاة ربه ويرقى بمناظر الجبال والمحاسن الطبيعية الى التأمل بصفات الله تعالى ، فيتحدث عنها وعن قديسيه ويتغنى بها في قصائده الصادرة عن فؤاد مشغف بحب الباري .

من يستطيع الكشف عن اسرار النفس في مناجاة ربها ومن اين لنا في كلامنا على صلاة فرحات ان نكشف عن اسرارها ؟

لدينا ما وضعه من المؤلفات الروحية ، فعليها نعوّل في معرفة شخصيته الروحية . ولدينا تعاليمه في الصلاة : فمنها نطلع على احوال نفسه وبها نهتدي الى تتبع تأثيره في غيره.

لما دخل فرحات الدير في الجبل وجد كتباً روحية كثيرة منسوبة للآباء القديسين الشرقيين ، فاعمل في بعضها قلمه ملخصاً او مفسراً او مقتبساً منها ما رآه نافعاً لنفسه ولغيره . هي نسكيات باسيليوس ، وميامر الآباء القديسين ، والستكسار ، وستان الرهبان ، وغير ذلك مما يغذي به الرهبان نفوسهم . على ان فرحات اطلع ايضاً على كتب المؤلفين الغربيين وعنهم اخذ لذاته ولرهبانيته . فظهر تأثير التعاليم الغربية في تثقيف فرحات الروحي بكونه استفاد من مطالعاته الشرقية والغربية مواد عديدة تمثلها ، ثم اقبل على الكتابة والكلام.

وقد اخترنا من مؤلفاته اربعة : اثنين مطبوعين ، وهما كتاب « الرياضة الروحية » ، وكتاب « فصل الخطاب » في الوعظ ، واثنين لم يطبعا بعد ، وهما « رسوم الكمال » وتفسير المزمور « ارحمني يا الله » . فلمسنا فيها الى جنب تأثر فرحات بكتب الغرب تأثيره في الحركة الفكرية الدينية في الشرق

لا يفوتنا ان قيمة الابتكار ضعيفة في هذه المؤلفات . فكتاب الرياضة انما هو دروس اقلام اخذاً عن كتاب رياضات القديس اغناطيوس ، مؤسس

الرهبنة اليسوعية . وكتاب تفسير « ارحمني يا الله » معرَّب عن الاب ايرونيموس الدومينيكي . وليس كتاب رسوم الكمال الا خلاصة مختصرة جداً لكتاب الكمال المسيحي لرودريكس اليسوعي . اما كتاب الوعظ فتأثير السلف فيه بيّن ، لان الموضوع شائع في عالم الاكليروس منذ القدم ، وقد سبقه كثير من الكتب اخذ عنها فرحات في تأليف كتاب فصل الخطاب .

على ان مزية الابتكار ليست مفقودة تماماً من تلك المؤلفات ، ونسبة المواد الى مؤلفها الاصيل لا تمحو فضل مترجمها وهو الذي اختار الكتاب دون سواه لتقديره اياه ، واعمل فيه رويته ، فادّى معانيه باسلوبه الشخصي ولغته ، فالبسه ثوباً من عنديّاته ، وابرزه ملوناً بالوان مخيلته ، مطيباً بعطر شاعريته ، مهندماً بهندام الاسلوب التعليمي الذي الفه في درس وتدريس الصرف والنحو والادب .

فاصطبغت من ثم هذه المؤلفات ، وغيرها من مؤلفات فرحات ، بصبغة نالت من عبقريته واسلوبه النحوي ميزةً خاصة أقلّ ما يقال ثناء عليها انها عبّرت عن روحيات الدين المسيحي بلغة لم يألفها السلف وعاشها الخلف . ومن صفاتها الوضوح ، وضبط المعاني باللفظ العربي الفصيح المأنوس يفهمه الكبير والصغير ، وذلك بتراكيب متينة تشبع العقل اذا ما ساغ فحوى الكلام . فما ان تقرأ صفحة من كتب فرحات الروحية حتى تتحقق فيها طلعة الجديد المتحدث ، كأنها خرجت من قلم احد الكتبة المجيدين محرّري المجلات الدورية في عصرنا ، عصر النهضة .

كتاب الرياضة الروحية

هو كتيّب طبعه لاول مرة الخوري بطرس حبيقه في المطبعة الشرقية في الحدث سنة ١٩٠٤ بقطع ١٦ صغير و٩٨ صفحة .

ليس من شأننا ان نعرّف القرّاء برياضة القديس اغناطيوس ، وحسبنا القول ان كلها موجودة في كتاب جرمانوس فرحات باسابيعها او اقسامها الاربعة ، وتعليقاتها وسائر ما صُدّرت به وذُيّلت به مساعدةً للمرشد وللمترَوض . وان

معالجة المواد في رياضة فرحات تُظهر عقلًا ناقباً وقلباً مضطرماً بنار المحبة والغيرة.

قد كثرت في ايامنا كتب التأملات الروحية مع ازدهار المطابع ، وكثر والحمد لله ، عدد الوعاظ والمرشدين ، المقتدرين المنورين ، فلاحت من ثم على كتاب فرحات خطط الهرم وفات اوانه او كاد ، ومع ذلك ففيه الجدد والعتق التي يخرجها من كنزه الحكيم وهي حرية بان تتناولها ايدي المؤمنين وعلى الاخص ايدي الاكليروس . وليس ظهور غيرها من المؤلفات الروحية لينسينا فضل واضعها منذ نيف ومئتي سنة ، وقد كانت له الايادي البيضاء في تعميم ممارستها بين الرهبان وبواسطتهم بين الشعب.

يتبع المطران جرمانوس القديس اغناطيوس في اكثر خطواته . وربما ابتعد عنه في مواضع بعدها اختصاصيو الرياضة جوهرية بالنسبة لاهميتها في سياق الرياضة.

حدّد القديس اغناطيوس الرياضة واستعار التشبيه ، تعبيراً عن فكرته فيها ، من حياة الجندي في السير ومحاربة العدو ، دالًا بذلك على ما يريده من المتروض وهو ان يتجند في خدمة الرب.

اما فرحات فيحدّد الرياضة باستعارات دالة على الهدوء والعزلة في حياة الانفراد فهي في تعبيره « بيت لحم طالب الكمال » . وبينا نرى الرياضة في نظر القديس اغناطيوس لا تحث المتروّض مباشرة وبادئ ذي بدء على الكمال ولكن على ازالة الموانع التي تحول دونه ودون معرفة ارادة الله وبلوغ الكمال، نرى فرحات يحث المتروّض حالًا على الجد في سبيل الكمال ، كانه يعرب بذلك التسرع عما حدث في حياته الروحية ، اذ انه حال دخوله الرهبانية اتخذ الكمال هدفاً لجهوده ، وكان منذ زمان بعيد قد قطع مراحل المبتدئين التي نوّه بها القديس اغناطيوس ، او اجتازها طفرًا ولم يختبر ما اختبره مؤسس الرهبانية اليسوعية من المصاعب والعقبات في تحوله من حياة الجندية في العالم الى حياة التجند في خدمة النفوس.

متى الف فرحات الرياضة الروحية ؟

ان صيغتها الواضحة البنيان وموادها الغزيرة تدل على عقل مختمر ومعرفة

بالروحيات لا يحصل عليها الا من قضوا السنين العديدة في الحياة النسكية ومارسوا الرياضة لا مرة ولكن مرات.

وان ما نعرفه عن البيئة الصالحة التي نشأ فيها فرحات في حلب، وعن حياة الاخويات فيها، يرجح في نظرنا كون فرحات تعرّف الى رياضة القديس اغناطيوس وهو شاب في اخوية. الموارنة في بلدته. ليس بين يدينا تعليمات على حياة الاخوية ايام شباب فرحات، ولكن نعرف، من مخطوط محفوظ في المكتبة الشرقية عنوانه «اعمال اخوية العذبان الارمن في حلب» وصفه الاب شيخو في مخطوطاته في عدد (٣٩)، ان الاخويات في ذلك العهد كانت ناجحة في كل الطوائف، وكان الشبان يعكفون على ممارسة الرياضات، ومن ثمّ كان بعضهم يترك حلب ويسافر الى لبنان للدخول في الرهبانية. فكان فرحات من هؤلاء. الشبان فتروّض واتخذ الرياضة من بعد آلة للجد في سبيل الكمال، كما اعرب عن ذلك في اول كتابه.

جاء في تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب بليبل (١: ٣٠٠) انه في سنة ١٦٩٩ دبّ الخلاف بين عمدة الرهبان المؤسسين. وذلك ان بعضهم كان يتردد على دير الآباء اليسوعيين في طرابلس، فيتشرب روحهم ويعود الى الدير في الجبل طالباً ان يتخذ الرهبان اللبنانيون غاية الرهبانية اليسوعية غايةً لهم، وذلك بان يقرنوا بين الاعمال الرسولية كالتبشير والتعليم وبين حياة النسك. وكان غيرهم يرفض هذا الطلب، فانقسموا رأياً. وملّ فرحات ذلك الخلاف وابتعد عن اخوته مدة زهاء خمس سنوات. ولم يخبرنا الراوي هل كان الاب جبرائيل فرحات ممن كانوا يريدون اتخاذ الرهبانية اليسوعية مثالاً لهم ام لا. لكننا لا نخطئ الظن في القول ان ميل فرحات الى حياة العزلة اقوى منه الى حياة الاحتكاك في العالم، وان يكن عند سنوح الفرصة قد خرج من الدير إما للتعليم، او للوعظ، او للتجوّل في سبيل مصالح الرهبانية. ولولا حبه العزلة والانفراد لما كان استطاع ان يسطر ما سطره، ويؤلف ما الفه من الكتب العديدة في حياة لم تتجاوز الاثنين والستين عاماً، ونسق الرياضة كما قلنا يؤيد هذا الزعم.

كتاب رسوم الكمال

لدينا منه نسخات ثلاث مخطوطة . ليس الكتاب طويلاً ، وقد يسمى ايضاً « مختصر الكمال » يُقرأ في اوله بعد البسملة المسيحية : « هذه رسالة مختصرة عدد فصولها عشرون ، وضعها جبرائيل فرحات الحلبي رئيس اللبنانيين العام وهي بمنزلة الايضاح لرسوم الكمال ، وسماها مختصر الكمال المسيحي » .

من المعروف ان كتاب رودريكس مطبوع بثلاثة مجلدات ضخمة وعنوانه كتاب الكمال المسيحي ، فان يكن اقتبس عنه الاب جبرائيل معربه ، فالامر طبيعي ، وعناوين فصول الرسوم موجودة كلها في كتاب رودريكس : محبة الله ، الكمال ، احوال المرشد ، فحص الضمير ، كشف الافكار ، التوبيخ الاخوي ، الاستعداد للتناول ، رصد العقل ، استحضار الله تعالى ، التقدمة اليومية ، الصلاة العقلية ، الرياضة ، ظروف الحدوث ، الصبر ، الادب والاحتشام ، اماتة الذات ، الاتضاع ، مطابقة الارادة ، حفظ الرسوم .

وللكتاب جزء ثانٍ وفيه بعد البسملة ما يلي :

« هذه رسوم عددها عشرون رسماً وضعها جبرائيل القس الحلبي رئيس الرهبان اللبنانيين العام بمنزلة قوانين تقتدي بها النساء المتعبدات وهن في العالم مزوجات وغير مزوجات » . واليك عناوين الفصول :

الطاعة ، الطهارة ، الفقر الاختياري ، اللبس ، السكنى ، المايدة ، العمل والسكوت ، الحضور الالهي ، الصلاة ، فحص الضمير ، الاعتراف ، تناول القربان المقدس ، المحبة ، الادب والاحتشام ، الصبر ، النسك ، اماتة الذات ، التواضع والوداعة ، المرض ، حفظ هذه الرسوم .

والكتاب مقسوم بنوداً بنوداً في كل فصل وفي كل جزء ، كما تقسم الكتب المدرسية لتسوغ مادتها ذاكرة التلاميذ . وقد تظهر فيها فكرية فرحات واسلوبه وهو الاستاذ النحوي ومعلم البيان . اليك في الفصل الرابع عشر من الجزء الاول : « في ظروف الحدوث » كيفية تعليمه استنباط المواد للتأمل ، نروي الفصل مثالاً ونصونه من الضياع بطبعه .

الفصل الرابع عشر

في ظروف الحدوث

قال داود النبي في المزمور المائة والثامن عشر

سبع مرات في النهار اسبحك على احكام عدلك

اعلم ان ظروف الحدوث ستة وهي مَن وما واين والالة ولماذا ومتى وكيف. انه ليمكن لنا ان نوجه هذه المرات السبع التي ذكرها داود النبي نحو هذه الظروف الستة التي يظهر بها احكام الله وتدابيره كلها لان بلفظة مَن يبان لنا فاعل حكمه وبلفظة ما يبان مفعول حكمه وبلفظة اين يبان مكان حكمه وبلفظة الالة المولد يماذا يبان واسطة حكمه وبلفظة لماذا يبان علة حكمه وبلفظة متى يبان زمان حكمه ولهذا اسميت هذه الكلمات ظروف الحدوث لانها حاوية كل ما يحدث في الكون من خير وشرور فضيله ورديله

مثال ذلك في خير الله معنا

من خلصنا ؟ — هو الله القادر على كل شيء غير المحتاج الى خلاصنا

ما الذي عمله معنا ؟ — خلصنا من ابدية جهنم

اين وضعنا ؟ — في ابدية السما الكاملة سعادتنا

بماذا خلصنا ؟ — بتجسده واتضاعه

لماذا خلصنا ؟ — لنحبه ونخدمه ونعرف احسانه معنا

متى خلصنا ؟ — حين كنا خطاة اشقيا اعدا الله

كيف خلصنا ؟ — بالامه وصلبه وموته المملو عارا

في شر الانسان

من هو فاعل الشر ضد الله ؟ — هو انسان تراب ضعيف حقير

ما الذي فعله هذا الانسان ؟ — عصى الله خالقه المحسن اليه دائما

اين فعل الشر ؟ — امام الله فاحص القلوب والكلى بتير خوف ولا حيا

بماذا فعل الشر ؟ — بارادته المعوجه المنحرفه عن الطبيعه

لماذا فعل الشر ؟ — ليكرم ذاته ويحقر خالقه ليحب نفسه ويبغض الله الذى احبه دائما وبذل نفسه عن خلاصه

متى فعل الشر ؟ — حين اقاض عليه مواهبه واتمامه بواسطة الايمان الكاثوليكى الرومانى واعطاه اسباب الخلاص يد المرشدين

كيف فعل الشر ؟ — خالف وصايا الله مخلصه وجدف على ربه قايلا مع فرعون المنافق من هو الرب حتى اطيع صوته فاتنى لا اعرفه

في الخطية

من هو فاعل الخطيه ؟ — هو الانسان الذى هو تراب ورماد بالنظر الى الملايكه

ما هي الخطيه ؟ — هى شر يضاد الله ويصادمه

اين وجود الخطيه ؟ – وجوده اولا في الانسان المخلوق على صورته ومثاله ووجودها ثانيا في العالم الباطل مقر الشر والزوال

بماذا توجد الخطيه ؟ – توجد بواسطة الجسد الشقي والعالم الباطل والشيطان العدو المشاكس

لماذا كانت الخطيه ؟ – لتتم هوانا وارادتنا الباطله

متى كانت الخطيه ؟ – كانت حين بعدنا عن الله بشهواتنا ونسينا عقابه وثوابه

كيف كانت الخطيه ؟ – كانت بفكرنا وقولنا وفعلنا بعزم ثابت وبمعرفه كامله

في العالم

من هو الذي يعتبر العالم ؟ – يعتبره من يفضل لذات العالم على الله الذي هو ينبوع كل خير حقيقي

ما هو العالم ؟ – هو الباطل الذي يورث محبيه حقيقة الخسارة الابدية

اين يوجد العالم ؟ – في قلوب محبي اباطيله

بماذا يوجد العالم ؟ – بالانحراف عن الله الحق

لماذا يمقتنا العالم ؟ – لاننا نصدق اباطيله ونكذب مواعيد الله الصادقه

متى قام العالم ضد الله ؟ – قام حين تحققت الفضيله وتكذبت الرذيله

كيف قام العالم ؟ – قام بانواع كثيره من الشرور

في الشيطان

من هو الشيطان ؟ – هو كوكب الصبح الذي سقط من السما الى جهنم معذبا فيها الى الابد مع جنوده

ما هي خطيئة ابليس التي سقط من اجلها ؟ – هي عصيانه الله لكبريائه بقوله اصعد على السحاب واكون شبيها بالعلي

اين يوجد الشيطان ؟ – في نفوس اعداء الله

بماذا يخدع الشيطان الانسان ؟ – بالشهوات الباطله

لماذا يخدعنا ؟ – لكي نحيا ولا نرث مقامه في السما

متى يقترب الشيطان الى الانسان ؟ – اذا راه بعد عن الله بالخطيه

كيف يتشبه الشيطان بملك النور ؟ – عندما يرينا الخير شرا والشر خيرا

وقس على هذا الترتيب الباقي استعمال كل فضيله ورذيله وكل زمان ومكان وشخص وذلك ان تضع لفظة ما موضع لفظة من اذا تعذر المعنى عليك في مثل ما الاتضاع وما هو الشيطان ويجوز ذلك ان تختار من هذه البيع الذي تريده وتترك الباقي وفايدة هذه الطروف المذكوره هي اما تصير الات تساعدنا في انتقالات الفكر وقت الصلاه العقليه وتوسع علينا المعنى في الوعظ والخطاب وهذا اعظم فايده

ومما يجدر بالذكر ان مؤلف رسوم الكمال يدعو المرأة العابدة الى تناول القربان المقدس كل اسبوع مرة ، او كل نصف شهر مرة (الرسم الثاني عشر) ومن المعلوم ان العادة التي سادت في العصر السابع عشر بتعليم جانسينوس وظلت

متأصلة في امكنة عديدة ، الى عهد قريب منا ، كانت تمنع عن عامة المؤمنين تناول القربان المقدس الا في النادر . فكان من نتيجة نشر التعليم الكاثوليكي بواسطة المرسلين ، ولا سيما اليسوعيين ، ان ممارسة الاسرار المقدسة شاعت بين المؤمنين ، وكان لجرمانوس فرحات عمله المبرور في الحصول على تلك النتيجة الصالحة .

تفسير المزمور « ارحمني يا الله »

تأليف الاب ايرونيموس من رهبان عبد الاحد

قد يكون مؤلف هذا الكتاب الاب ايرونيموس الدومينيكي البرتغالي ، من علماء القرن السادس عشر .

لم يعرف الاب جرجس منش هذا الكتاب ولم يذكره في مؤلفات فرحات . ونسخة كتابنا مخطوطة بيد المطران فرحات نفسه . ننقل منها صفحتين على سبيل الانموذج ، ونعرض الصفحة الاخيرة مصورة لتعريف القراء بخط فرحات ، وفيه شاهد

الاساقفة والمبشرون على سراجك . الجهول اذا كانوا كاملين وعاملين بفضائل وستحدين ان يضعوا نفوسهم عن رعاياهم . ولما مذبحك يا يسوع المسيح الحقيقي فليس هو الا صليبك الذي صرت فوقه تقدمة كريمة عنا . وليست الجهول الا جسدنا الذي تقدمه لك على مذبحك . اي على الصليب في منتهى العذاب حتى الموت من اجل اسمك . تنزل حينئذ البيعة وتنبسط حدودها منتشرة في الاقاصي . ويسمع صوت بشارتك في اقاصي الارض وتبتهج المسكونة كلها . ويفرح القديسون في المجد ويسرون على مضاجعهم وينتظرونا في بلد الاحياء الخالدين الان فيها . فارحمني يا الله كعظيم رحمتك . واقبل تقرباتي العدل وكعذوبة القداسة . وكحرية للحياة السكنية . وشرف مجلسك . الذي استحق بواسطته ان اجوز من هذا وادي

الشقاء وذكرك الى الدهر الذي فيه تسكن لمجيئك

وخلاصك الى ابد الآبدين آمين

قدم هذا العامل بيد مريم جرمانوس الى ان استحق حلب

في اليوم التاسع من شهر اب من شهور سنة

١٧٣١

آخر على لغة فرحات بالروحيات.

نمرة المخطوط في المكتبة الشرقية ٤١٥، ورقه صقيل رقيق، تجليده حديث بسيط بالقماش الاسود والكرتون، طوله ١٥ سنتيمتراً وعرضه ١٠، عدد صفحاته ١٩، لكل صفحة ١٧ سطراً، خطه نسخي متقن، حبره اسود الا في العناوين فانه احمر. والمخطوط ناقص في اوله صفحة ضاع بها جزء من الفهرست، ولكن مطالعة المواد في الكتاب تعوّض عما فقد من عناوينها باوله وهذه فصوله:

المقدمة في الاتضاع العميق والواجب علينا ان نتقدم به الى رحمة الله السيفة.

١ – في مقدار رحمة الله وعظمها – ٢ في قوة فعل رأفة الله على الجنس البشري – ٣ في تعاظم المقترفة الالهية مع الندامة والمحبة – ٤ في الاتضاع الثالث من قبل تأملنا بخطايانا – ٥ في ان الخطيئة ليست الا محبة الملائق مضادة الخالق لكون نتيجتها المجاسرة على الله تعالى – ٦ في مقدار شر الخطيئة – ٧ في الحق الذي يجبه الله وفي الحكمة التي عرفتها الجهلاء وجهلتها الحكماء – ٨ في ان ابن الله كان لنا زوفا مطهراً – ٩ في الرجاء – ١٠ في التوسل الى رأفة الله – ١١ في تقاوة القلب وتجديد الروح بالمحبة – ١٢ في ان الصلاة والتضرع يحركان الله الى الشفقة علينا – ١٣ في حسن الطلب وفي نعمة الثبات – ١٤ في التسليم وفي قدرة الله – ١٥ في النجاة من الخطيئة – ١٦ في ان نسبحة الله من الوعاء تفوق فصاحة الحكماء – ١٧ في ان الذبيحة الروحية اعظم قدر من الذبيحة الجسدية – ١٨ في فضيلة القلب المنسحق – ١٩ في ان السائرين بالسيرة الحسنة قليلون جداً – ٢٠ في مزية القرابين الروحية.

واليك فصل الكتاب الاخير وقد نسخه المطران قبل ان يموت باحد عشر شهراً:

القسم العشرون في مزية القرابين الروحية

قال داود النبي:

حينئذٍ تسر بذبيحة العدل قرباناً ومحرقات

حينئذٍ يقربون على مذابحك العجول

عندما نكون اصلحت بسرتك اورشليم. فتقبل حينئذٍ ذبيحة العدل ومحرقها بنار محبتك هكذا قبلت ذبيحة موسى وايليا. وقبولك ذبيحة العدل، هو ان تستحق النفوس المجتهدة في ان تحيي بمسكك المقدسة. فما الذي تفيده تقدمة القرابين لكن اذا كنت لا تقبلها يا رب. كم ضحايا تقدمها لك كل يوم وهي لا ترضيك بل هي مكروهة امام عينيك. لانها ليست

بذيحة العدل . ولهذا كانت غير مقبولة . اين هو الان مجد الرسل . اين شجاعة الشهداء . اين اثمار المؤمنين . اين بسالة الرهبان المقدسة . اين فضائل المسيحيين الاولين . فهؤلاء كلهم تكون ذبائحهم مقبولة اذا زينتها بالفضائل يمينك . فمن ثم بثبت انت اسوار صهيون بمرتك تسر حينئذٍ بذيحة العدل . لان الشعب جذا يبتدي في ان يعيش عيشاً صالحاً . ويحفظ وصاياك ويصنع العدل وتكون عليه بركتك . ولهذا تكون تقدمات الكهنة والشماسة مقبولة عندك . لكونهم جا يرفضون الارضيات ويتسلون الكمال المسيحي بكل الاهتمام . وتكون مسحة بركتك على رؤوسهم فتسر حينئذٍ بمحرقات الرهبان الذين يباينون الكسل والتواني ويضطرمون بنار محبتك الالهية . حينئذٍ تقرب الاساقفة والمبشرون على مذابحك العجول اذا كانوا كاملين ومملوين فضائل ومستعدين ان يضحوا نفوسهم عن رعاياهم . واما مذبحك يا يسوع الصالح فليس هو الا صليبك الذي صرت فوقه تقدمةً محرقة عنا . وليست العجول الا جسدنا الذي تقدمه لك على مذبحك . اي على الصليب في منفع العذاب حتى الموت من اجل اسمك . فتزهر حينئذٍ اليمة وتنبسط حدودها منتشرة في الافاق . ويسمع صوت مجدك في اقاصي الارض وتبتهج المسكونة كلها . ويفرح القديسون في المجد ويسرون على مناجمهم وينتظرونا في بلد الاحبا الحاصلين الان فيها . فارحمني يا الله كعظيم رحمتك واقبلني كقربان العدل وكتقدمة الفداء . وكمحرقة الحياة النسكية . ومثل عجل صليبك الذي استحق بواسطته ان اجوز من هذا وادي الشقا الى ذلك المجد الذي عيّنته لمحبيك وخواصك الى ابد الابدين امين

قد تمّ هذا التأمل يد معربه جرمانوس الماروني اسقف حلب في اليوم التاسع من شهر آب من شهور سنة ١٧٣١

في الوعظ

لعل هذا الكتاب اكمل وانفع ما الفه المطران جرمانوس فرحات من كتبه الروحية . طبع اربع طبعات : الاولى في مالطة سنة ١٨٤٢ ، والثانية في طاميش سنة ١٨٧٧ ، والثالثة في بيروت سنة ١٨٨٢ ، والرابعة في بيروت ايضاً سنة ١٨٩٨ في مطبعتنا الكاثوليكية .

جاء في مقدمة احدى طبعاته : « قد تحرش لطبعه جماعة من البروتستنت دون ذكر محل طبعه والسنة التي طُبع فيها لغايات سقيمة ولم يخل كعادتهم من حذف وتحريف واخلال وزيادة وتصحيف » .

لم يفقد الكتاب عنفوانه بعد مضيّ نيّف ومئتي سنة على تأليفه وكله درر ونصائح ، وقد يعزّ وجوده في المبيع . فيا ليت طبعه يعاد ! وهو جدير بان

يطالعه رجال الاكليروس عامةً وواعظهم خاصة.

نختار من هذا الكتاب فصلين نروي شيئاً منهما بحرفه او مختصراً، وفيهما تظهر روح المؤلف وصفاته الرسولية . هو العلامة باللغة العربية ، واضع كتاب البحث وبلوغ الارب في علم الادب ، وهو مصلح عبارة مواعظ يوحنا فم الذهب، اتى على ذكر محاسن الوعظ ، فعدّ في مقدمتها البساطة قال:

ليس بضروري للوعظ ان تكون الفاظه مبنية على قواعد النحو والتصريف والمعاني والبيان ولا على تنسيق التراكيب وسبكها في قوالب مصنعة فان هذه كلها قشور خارجة يلهي السامعين رونقها الظاهر عن استفهام لب المعاني المكنون فيها فتفسد اثمر الوعظ التي هي تخليص الانفس.

وذكر سيرة الواعظ فاوصاه بالتواضع وقال ان الواعظ اذا احكم التواضع احكم سد جميع الفضائل . وقال في ادب الوعظ ان الادب يلزم الواعظ ضرورة ليكون وظيفته تهذيب الناس وتأديبهم .

والوعظ نوعان علمي وعملي. فكما ان العلمي له مقدمة واقسام ، هكذا الوعظ العملي مقدمة واقسام : فمقدمته الادب ، واقسامه ان يكون الواعظ مؤدباً اولا بحركاته فهو النور وهو الملح ، ومن فضائله الرزانة والرصانة ؛ ثانياً بكلامه فيجتنب الشتائم المقبحة والمزاح والمطارحة والاخبار المضحكة والاستهزاء والهزء ومدح الذات ومذمة الغير وثلبه واظهار نقائص القريب وانواع الدينونة والفتنة والكذب والوشاية والظنون الردية والمخاصمة : ثالثاً بثيابه فتكون معتدلة اللون طويلة بهية نظيفة متوسطة الحال بين الرفاهة والمشونة . والا فكيف يمكنك ياواعظ ان توبخ المرأة على اضاعها بحليها وصنوعها وديباجها الملوّن المذهب وقميصك من كتان وفيع مخرم الاطراف وكيف يمكنك ان تنهى الفقراء عن خلقانهم وانت متوشح بالفراء والاثواب الرفيعة الثمينة ؛ رابعاً بالقناعة اي الا يكون شرهاً محباً لبطنه والا فيكون مغرماً بحب المال . (الفصل الثاني) .

ولفرحات كلام في وجوب تجنب الواعظ كثرة التقرب الى الناس والفضل كله آية حكمة وفطنة يباري خير ما كتبه القديسون وغيرهم من رجال الفضل في ذلك الموضوع.

* * *

هذه الملاحظات والخواطر جرتنا بمناسبة اعياد فرحات اليوبيلية ، آملين ان يثمر الاحتفال في قلوب الشبيبة اثاره الصالحة ، فينشأ في معاهدها خلف للطران جرمانوس فرحات يرفع لواء الاداب والعلم عالياً ويهدي بتعاليمه وامثاله قلوب المعاصرين الى الكمال الاعلى.